

The Poetics of Place Between Alphonse de Lamartine's Poem "The Lake" and Ali Mahmoud Taha's Translation

Mohamed Hallouche¹, Nadjoua Boukadoum²

¹University of 20 August 1955-Skikda (Algeria), E-mail: hallouche.m@yahoo.com

²University of 20 August 1955-Skikda (Algeria), E-mail: nboukadoum29@yahoo.com

Received: 12/2024, Published: 02/2025

Abstract:

Translation, with all its theories, is considered a form of human communication and an effective medium that contributes to the transfer of the literature, cultures, and sciences of nations. Over a short period of time, it has witnessed great development, as theories have been developed for it and terms have been created for it.

Literary translation is generally considered one of the most difficult and complex fields and types of translation. Perhaps translating poetry requires the translator to have solid cognitive and linguistic competence in order to be able to convey literary texts.

The poem "The Lake" by the French poet Alphonse de Lamartine is considered one of the best examples of world romantic poetry. Its influence has extended to Arab romanticism, and a group of poets have taken it upon themselves to translate it and transfer it into Arabic. Perhaps the most famous of its Arabic translations in poetry is the translator Ali Mahmoud Taha. It is the subject of our research paper, which seeks to raise a number of problems and attempt to answer them, perhaps the most prominent of which are:

- 1- To what extent was Ali Mahmoud Taha's translator able to be faithful to the original poetic text?
- 2- Was Ali Mahmoud Taha able to preserve the aesthetics of the Lamartine poetic text in his translation?
- 3- To what extent was Ali Mahmoud Taha successful in preserving the rhythm of the original poetic text in his translation.
- 4- Was the poet Ali Mahmoud Taha able to preserve the spatial poetics as they appeared in the Lamartine poetic text?

Keywords: Poetic translation, stylistic equivalence, semantic equivalence, poetics of place.

شعرية المكان بين قصيدة "البحيرة" لألفونس دي لامارتين ومترجمة علي محمود طه

محمد حلوش¹، نجوى بوقدوم²

¹جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: hallouche.m@yahoo.com

²جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: nboukadoum29@yahoo.com

الملخص:

تعتبر الترجمة بكل نظرياتها شكلا من أشكال التواصل الإنساني، ووسيطا فعالا يسهم في نقل آداب الأمم وثقافتها، وعلومها، وقد شهدت عبر مرحلة زمنية قصيرة تطورا كبيرا حيث وضعت لها النظريات، وأنشأت لنفسها المصطلحات، وتعتبر الترجمة الأدبية على العموم من أصعب وأعقد مجالات الترجمة وأنواعها، ولعل ترجمة الشعر تقتضي في المترجم كفاءة معرفية ولسانية رصينة حتى يتمكن من نقل النصوص الأدبية.

وتعتبر قصيدة " البحيرة " للشاعر الفرنسي " ألفونس دو لامارتين من عيون الشعر الرومنسي العالمي، وقد امتد تأثيرها في الرومنسية العربية، وانبرى ثلة من الشعراء لترجمتها ونقلها إلى العربية، ولعل أشهر مترجماتها العربية شعرا مترجمة علي محمود طه، وهي موضوعة ورقتنا البحثية التي تسعى إلى طرح جملة من الإشكالات ومحاولة الإجابة عنها لعل أبرزها:

- 1- إلى أي مدى استطاعت مترجمة علي محمود طه الوفاء للنص الشعري الأصلي؟
- 2- هل استطاع علي محمود طه في مترجمته أن يحافظ على جماليات النص الشعري اللامارتييني؟
- 3- إلى أي مدى وفق علي محمود طه في الحفاظ على إيقاعية النص الشعري الأصلي في مترجمته.
- 4- هل استطاع الشاعر علي محمود طه أن يحفظ على الشعرية المكانية كما تجلت في النص الشعري اللامارتييني؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة الشعرية، التكافؤ الأسلوبي، التكافؤ الدلالي، شعرية المكان

توطئة:

يتملص المكان في الخطاب الإبداعي من أبعاده الهندسية ليشتحن بفعل الإبداع بدلالات نفسية تحيله إلى مكان نفسي ثر بالتداعيات و الذكري ، هذا التحول المكاني يجعل من القراءة النقدية الكاشفة عن تجليات المكان و شعريته في الخطاب الإبداعي نوعا من المغامرة و المجازفة النقدية ، ذلك أن المكان الواحد عبر نصوص إبداعية مختلفة قد يتسربل بدلالات مغايرة و مختلفة باختلاف التجربة النفسية التي استدعت حضوره ، ضف إلى ذلك أن المكان في النص الإبداعي وجود تخييلي تكسر فيه جغرافية الأبعاد لتعوضها تداعيات نفسية تكتسب دلالاتها عبر السياقات النفسية ، وهذا ما يمنح العنوان شعرية .

1-شعرية المكان في قصيدة " البحيرة " لألفونس دي لامارتين

أ: على مستوى العنوان:

توطئة:

تندرج دراسة العنوان ضمن رؤية نقدية حديثة جاءت لتسد نقصا عانت منه الدراسات النقدية السابقة، والتي كانت تهمش العنوان وتقفر عليه معتبرة إياه خارجا نصيا، و توجه كل اهتمامها إلى دراسة المتن ليس إلا.

إن ضرورة إيجاد علم يهتم بدراسة العنوان في تركيبه ووظيفته و علاقته بالمتن جاءت بعد إدراك ما يمكن أن يضيفه العنوان من إضاءات يمكن أن تسعف القارئ في فهم النص ، ذلك أن " عنوان عمل أدبي ما يوظف أولا لتمييز هذا النص الأدبي من غيره ، و المعلومات التي يقدمها تصنيفية قبل كل شيء ، كما أن العنوان يجب

أن يخلق نوعاً من الإحساس بالانتماء إلى هذا الجنس الأدبي أو ذاك ، أو إلى تلك الفئة أو هذه ، حتى يوجه معية معلومات أخرى كاسم الناشر أو دار النشر وغيرها من المعلومات اختيار القارئ المستهلك لهذا العمل الأدبي.¹

و بناء على ما تقدم ذكره ، نستنتج أن العنوان ليس مجرد حلية لفظية تزين النص ، و لا هو لعبة لغوية للتسلية و الترفيه ، إنما – العنوان- هو أول جملة تقرأ في النص ، ذلك أنه " قبل النص يوجد العنوان ، و بعد النص يبقى العنوان "² على حد تعبير " ميشال هوسرل " ، كما أن تغيير عنوان نص ما هو اقتراح نص مغاير على القارئ ، و تركيب العنوان يمكن أن يكشف عن سر النص ، أو يمهّد الطريق لاكتشافه ، إذ أن " العنوان في بداية النص الأدبي يشير إلى الموضوع أو الشكل الذي يحدد بواسطته المؤلف عمله الأدبي "².

إن العنوان الذي نحن بصدد دراسته في تركيبه ووظيفته و علاقته بالنص الشعري يرتبط بقصيدة تدين في شهرتها و خلودها للعنوان في حد ذاته ، و نقصد بها قصيدة " البحيرة " للشاعر الفرنسي الروماني " ألفونس دو لامارتين " .

فالعنوان ، كما يبدو جلياً ، على مستوى بنية السطح ، تركيب اسمي معرف يحيل المتلقي على جملة من التصورات المبدئية المنبثقة عن الثقافة المرجعية و المخزون المعرفي لهذا القارئ ، و لعل أهم هذه التصورات هي أن العنوان " Le Lac " يشير إلى مكان مائي و غناء ، و جميل و مشرق ، ذلك أن القارئ عندما يقرأ هذا العنوان المفعم بالفرح و الإشراق ينتظر وصفاً حسيًا لمحاسن الطبيعة و تصويراً فوتوغرافياً لمواطن الجمال فيها في المتن الشعري ، لكنه ، و عند قراءته للقصيدة ، يتفاجأ أن هناك انزياحاً و عدولاً عن الوصف الحسي و الجغرافي – وصف البحيرة في بعدها الحسي و المادي – ليحيل المتن الشعري على وصف الطبيعة الإنسانية في تمزقها و في ألمها و اضطرابها و قلقها و حيرتها أمام استبداد الزمن و قساوته و جبروته ؛ فالعنوان ، مفصول عن المتن الشعري ، إحالة مكانية ، و المتن الشعري في معزل عن العنوان يحيل على الشكوى و التبرم من الزمن الذي يهدد الموجودات جميعها بالزوال و الفناء ، و هنا يدخل العنوان على المستوى الموضوعاتي و على المستوى الدلالي في صراع مع المتن الشعري ؛ فالعدول من الدلالة المكانية الحسية التي يحيل عليها العنوان إلى الدلالة الميتافيزيقية و النفسية التي يحيل عليها المتن الشعري يجعل العنوان شعرياً من حيث أن المتن الشعري – هنا- وظيف لتفسير العنوان ، و هنا تحديداً تتحول " البحيرة " من مكان هندسي و مجسم له أبعاده الجغرافية إلى مكان نفسي مفعم بالذكريات و الصور الوجدانية و بالأحاسيس و الانفعالات ، و هذا التحول من المكان الهندسي إلى المكان النفسي يكسب العنوان رمزية تجعل من القراءة الشاقولية ضرورة ملحة لفك هذا اللغز و كشف ذلك السر الكامن في العنوان.

¹ -Dictionnaire de la littérature de langue française, J-P De Beaumarchais et autres, Paris, 1984, p : 230.

² -Maurice Delcroix et autres : Méthodes du texte, introduction aux études littéraires, Paris, 1987, P : 215.

³ -Dictionnaire encyclopédique Quillait, 7^{èmes} parties. P: 1132.

يقع العنوان ، بصيغته الاسمية ، " Le Lac " " البحيرة " في مهب الدلالات ، ذلك أنه على المستوى الأفقي [بنية السطح] يعد عنوانا لا نحويا ، لأنه لا يستقيم على مستوى التركيب ، لكنه على المستوى العمودي [بنية العمق] فإنه يتحول لى عنوان نحوي، و هذا الانتقال من نحو السطح إلى نحو العمق هو الذي يوفر للعنوان زخما هائلا من احتمالات القراءة التأويلية

كان عنوان القصيدة في أصله الأول " Le Lac de B*** " ليستقر في آخر المطاف بصيغة

" Le Lac " ، و هي قصيدة " مرتبطة بظروف جد محددة ، تجعل من السهل من جانب آخر اكتشاف ما لها من ذكريات غامضة و لكن من خلال مغامرته الشخصية و المستحضرة بكثير من السرية و التكتم ، وجد لامارتين ملامح آفات الإنسانية متجذرة و عميقة و حقيقة مؤلمة ، مما جعل البحيرة قضية القلق الإنساني التي لا تموت ، قصيدة خالدة تجسد حيرة الانسان في مواجهة القدر.³

و لعل هذا العنوان الملمغز و المتكتم يحيل في الوقت نفسه على مستويين :المستوى الأول موضوعاتي و هي إحالة مخادعة و كاذبة و زائفة لأنها تحيل على موضوع الوصف المادي للطبيعة ، و تصوير جمالها و حسنها و أما المستوى الثاني فهي إحالة ترميزية ، و هي التي أرادها لامارتين، فجعل من العنوان " البحيرة " جسرا أو معبرا يعبر من خلاله عن مناجاة حبه الضائع و بث شكواه من الزمن المخادع ، و عليه فالعنوان يتحرك وفق مستويات عدة : موضوعاتي ، رمزي ، نحوي ، لا نحوي ، مكاني لكنه يحيل في المتن الشعري على الزمانية ، و كأن " البحيرة " غدت مكانا زمانيا احتفظت ببعض بصمات الذكرى ، ذكرى الحبيبة ، فوق مياهها و فوق هضابها و أشجارها ، و كأن لامارتين أردأن يوقف حركة الزمن الهارب ، و إيقاف حركته التي تشبه حركة الطاحونة التي كلما دارت دورتها سحقت أجسادا بريئة ، و حطمت ذكرى سعيدة، و قتلت حلما جميلا ، فغدت " البحيرة " مكانا توقف فيه الزمن و جمد .

و عليه فالمتن الشعري جاء توضيحا للعنوان و تكملة له ، لأن هذا الأخير مكثف تركيبيا و دلاليا ، فجاء المتن الشعري لتبسيطه و توضيحه و شرحه ، و من هنا تحديدا أنيطت بالعنوان الوظيفة الترميزية التي تستدعي القراءة التأويلية و تدعو إلى الكشف عن سر القصيدة التي خلدت عبر الأزمنة ، و كأن القارئ يهمس بينه و بين نفسه قائلا : ما هو السر الذي يجعل من قصيدة عنوانها " البحيرة " رائعة من روائع الأدب العالمي ؟

فالعنوان بوضوحه الغامض و بصراحته المربكة ، و بساطته الملمغزة يجعل القارئ يقرر الخوض في مغامرة الكشف عن هذا السر الدفين.

2-شعرية المكان في مترجمة علي محمود طه لقصيدة " البحيرة " لألفونس دي لامارتين

³-Les grands auteurs français du programme xIxE siècle p : 88.

ب-:على مستوى العنوان:

إذا كانت قيمتا " الوفاء والخيانة" هما اللتان تحددان أحكامنا عند تعاملنا مع النصوص المترجمة ، و خاصة النصوص الشعرية، فإننا واجدون أن الشاعر المصري " علي محمود طه" في مترجمته لقصيدة " البحيرة" لألفونس دي لامارتين قد كان وفيما إلى حد ما في ترجمة عنوان القصيدة الأصلية ، و ذلك حين ترجم " Le Lac" بـ " البحيرة"، و هذه الأمانة في ترجمة العنوان تبدو وفق مستويات مختلفة ، أهمها أن علي محمود طه قد حافظ على الاسم للتعنوان " البحيرة" ، ذلك أن تغيير العنوان بالإضافة أو الحذف هو في حقيقته تغيير للنص الأصلي و اقتراح لنص مغاير ، هذه الأمانة تظهر على المستوى التركيبي ؛ فالعنوان اسم لا يستقيم نحويًا لأنه لا إسناد له في بنية السطح ، و هذا ما يستدعي قراءة تأويلية تستحضر المغيب ، و تقدر المحذوف ، و تجعل العنوان يستقيم نحويًا ، فـ " البحيرة " باعتباره عنوانًا اسميًا يفتح أفق التأويل واسعًا ، و يكسب العنوان شعرية و حركيته .

كما نلاحظ أن الشاعر علي محمود طه قد حافظ على العناصر الترميزية ، و أبقى على المخزون الدلالي و الكثافة التأويلية التي يزخر بها حينما أبقى على الطبيعة المكانية للعنوان ، و نقصد بها الطبيعة المائية ، و بالتالي فقد أبقى على ذلك الصراع الموضوعاتي و الدلالي الذي يجعل العنوان في مواجهة المتن الشعري ، فالعنوان في مترجمة علي محمود طه ، كما كان في الأصل ، يحيل على موضوع الوصف المادي للبحيرة ، و أما المتن الشعري فيطرح موضوعًا ميتافيزيقيًا ، و يعكس تمزقًا و الما نفسيًا.

2- شعرية المكان بين قصيدة " البحيرة" لألفونس دي لامارتين ومترجمة علي محمود طه

-توطئة:

يرسم لنا الشاعر " ألفونس دو لامارتين" عبر قصيدته " البحيرة" فضاءً مكانيًا متخيلاً ، ثم يشرع في إيراد جملة من الجزئيات المكانية التي تشكل في مجموعها و تضافرها معمارية هذا الفضاء المكاني الشامل " البحيرة" و التي ترتبط فيما بينها بدلالات سياقية تكسبها حيوتها و تمنحها حركيتها .

و لهذا سنعمد عبر تفكيكنا لهذا الخطاب الشعري " البحيرة" إلى استثمار أدوات و إجراءات التحليل المقطعي الذي يقسم القصيدة إلى جملة من المقاطع الشعرية ، حيث يجسد كل مقطع شعري لحظة انفعالية بذاتها و يعكس توتراً نفسيًا بعينه ، غير أن هذا التقسيم المقطعي الذي يعتمد على التمفصلات الدلالية ليس دعوة منا إلى تجزئ جسد النص الشعري بقدر ما هو ضرورة منهجية تفرضها الدراسة التحليلية .

1-2- شعرية المكان في قصيدة " البحيرة" لألفونس دي لامارتين

أ-على مستوى المتن الشعري :

1-المقطع الشعري الأول:

"Ainsi, toujours poussés vers de nouveaux rivages.

Dans la nuit éternelle emportée sans retour.

Ne pourrons-nous jamais sur l'océan des âges,

Jeter l'ancre un seul jour."⁴

يبدو المكان في المقطع الشعري الأول من قصيدة " البحيرة " لألفونس دي لامارتين مطلقا و شاسعا و غامضا [nouveaux rivages:شطان جديدة ، l'océan des âges : محيط الأعمار] يبعث في النفس الإحساس بالتيه و الضياع ، و الاغتراب و الغرق ، و هو مكان مائي [océan des âges] يحمل دلالات الاضطراب و القلق و الحيرة و التموج ، و يثير في الذات إحساسا مريرا و مؤلما بالانكسار و التصدع ، فمصير الانسان غامض و مجهول و مخيف ، و حياته لا تستقر على حال ، يتجاوزها المد و الجزر ، و الانخفاض و العلو ، و كأنها أمواج محيط مضطرب .

هذه الأمكنة ، بما تحمله من ضبابية و غموض تحيل القارئ الحذق على نفسية لامارتين المضطربة و القلقة أمام استبداد الزمن و غموض المجهول.

2-2: شعرية المكان في مترجمة علي محمود طه.

أ-على مستوى المتن الشعري

1- المقطع الشعري الأول

ليت شعري أهكذا نحن نمضي *** في عباب إلى شواطئ غمض
ونجوب الزمان في جنح ليل *** أبدي يضني النفوس ويمضي
وضفاف الحياة ترمقها العين *** فبعض يمر في إثر بعض
دون أن نملك الرجوع إلى ما *** فات منها ولا الرسوب بأرض."⁵

يبدو المكان عند علي محمود طه أقل غموضا و إطلاقا ، و أكثر تحديدا و وضوحا

[شاطئ، أرض] ، و هذا الوضوح و التحديد في الأمكنة يسلب القصيدة ألقها و مأساويتها ، و يضعف من تصعيدها الدرامي ، ذلك أنه كلما تحدد المكان و اتضح كلما شعر الانسان بالطمأنينة و الأمان ، و قل شعوره

⁴ -Alphonse De Lamartine: Les méditations poétiques. Nouvelles Méditations poétiques, Editions Gallimard, 1981, Paris, p : 64.

⁵ -علي محمود طه: الديوان، مؤسسة هنداوي، 2017، ص: 125.

بالتيه و الضياع ، و الخوف من المجهول الذي يحدثه المكان المفتوح و المطلق ، ضف إلى ذلك أن علي محمود طه جمع ما بين المكان المائي و المكان اليابس [الشاطئ/ الأرض] و بالتالي فإن الشعور بالحيرة و القلق و الاضطراب الذي كنا قد عايناه نحن القراء في قصيدة لامارتين نظرا لسيطرة الأمكنة المائية قد فتر نوعا ما لأن نوعا من التوازن قد حدث في طبيعة الأمكنة , ففي مقابل الماء الذي يحمل دلالات الغرق و القلق و الاضطراب ، و التموج [الشاطئ] هناك الأرض التي تحمل دلالات الاستقرار و السكينة و الأمان .

و لعل مصدر ذلك التصعيد المأساوي، و تلك النبرة الحزينة الباكية التي يتردد صداها في قصيدة لامارتين هي تلك المعاناة الحقيقية و الصادقة التي أمت به ، فهو ، أي لامارتين، عبر قصيدته يكتب ألمه ، و يعرض حزنه ، و يطرح شكواه من الزمن الذي أبي إلا أن يفجعه في حبه و في حبيبته ، فسلبه الأول ، و اختطف الموت منه الثانية .

و أما الشاعر علي محمود طه فإنه عندما ترجم قصيدة " البحيرة" لم يكن ليعيش الألم الذي عاشه حقيقة لامارتين ، فترجمته ليست وليدة معاناة فعلية، أو مأساة واقعية بقدر ما هي تأثر بقصيدة قرأها ووجد بعضها منه فيها ، فالابتعاد عن منبع الألم جعل المأساة تفتري ، و المعاناة تضعف في مترجمة علي محمود طه، و معايشة الألم عند لامارتين جعلت قصيدته هي الألم نفسه .

2- المقطع الشعري الثاني من قصيدة " البحيرة: لألفونس دو لامارتين:

" O lac ! L'année à peine a fini sa carrière,

Et près des flots chéris qu'elle devait revoir,

Regarde ! Je viens seul m'asseoir sur cette pierre

Ou tu l'a vu s'asseoir."⁶

يفتح لامارتين المقطع الشعري الثاني بالإحالة على مكان سبق و أن وقفنا عنده في العنوان، إنه مكان " البحيرة" ، و لورود هذا المكان في المقطع الشعري الثاني بالذات دلالة جد عميقة تجعل من هذا المقطع الشعري بداية لألم لامارتين و معاناته الشخصية ، بعدما كان المقطع الشعري الأول يطرح ألما إنسانيا ووجعا ميتافيزيقيا يعاينه لامارتين مثلما قد يعاينه كل انسان أحب و أضاع حبه ، لكن " البحيرة" باعتبارها حميميا مشحونا بالتداعيات و بالذكريات يحيل على تجربة شخصية و معاناة ذاتية ، و ألم فردي ، إنها تجربة لامارتين و معاناته و ألمه ، كما أن المكان " البحيرة" ، كما تجلى من خلال تركيبه " **O Lac !** " مفعم بالألم و الوجع و الحسرة ، و الحرقه ، مكتنز بدلالات النداء و الاستجداء ، و التوسل ، و كأن لامارتين ، عبر بث شكواه إلى البحيرة ، يستجدي عطفها و يسترحمها عليها تخفف عنه ألمه و ترحم ضعفه ، و تحفظ الذكرى له ، و هنا يبدو المكان عبر هذا

⁶ - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

التركيب ذاته " **O Lac !** " قاسيا ومتسلطا ، وفضا غليظا ، لا يحركه صراخ الألم ، و لا تثيره صيحات الوجع ، و كأن الطبيعة – و من خلال البحيرة-قد تخلت عن أبنائها ، فصمت آذانها عن سماع صيحات ألمهم.

أما المكان الثاني الذي يصادفنا في المقطع الشعري الثاني من قصيدة " البحيرة " لألفونس دو لامارتين فهو " الصخرة " المشار إليه باسم الإشارة [cette] ، [cette pierre] ،

هذا المكان هو مظهر جزئي من الفضاء المكاني العام " البحيرة " ، وقف عنده لامارتين لوجود علاقة وطيدة تجمع هذا المكان [cette pierre] بالشاعر ، وهذه العلاقة الحميمية ما بين المكان و الكائن تصرح بوجودها من خلال استعمال اسم الإشارة [cette] ، فتلك " الصخرة " ليست غريبة على لامارتين ، بل غدت خزانا لذكريات متناقضة عاشها الشاعر؛ زمن الفرح و السعادة و الحبور حيث كانت حبيبته تجلس بجانبه على تلك الصخرة ، و زمن اليأس و الكآبة و القنوط ، حيث عاد لامارتين ليجلس على الصخرة ذاتها ، و لكن وحيدا ، منفردا و كئيبا ، و هنا تتحول الصخرة من مكان مادي بارد ، لا حياة فيه ، إلى مكان نفسي مفعم بالحياة ، يمتزج فيه الألم بالأمل ، و الماضي بالحاضر

المقطع الشعري الثاني من مترجمة علي محمود طه:

حدثي القلب يا بحيرة مالي **** لا أرى [أولفيرا] فوق ضفافك

أوشك العام أن يمر وهذا **** موعد للقاء في مصطفاك

صخرة العهد! ويك ها أنذا عد ****ت فماذا لديك عن أضيافك؟

عدت وحدي أرعى الضفاف بعين **** سفكت دمعها الليالي السوا فك.. "7".

إن مترجمة علي محمود طه ، في مقطعها الثاني ، و على الرغم من احتوائها على الأمكنة التي وردت في قصيدة " البحيرة " للامارتين ، إلا أن هذه الأمكنة جاءت مفرغة ، نوعا ما، من دلالاتها الحزينة ، و إحالاتها المأساوية ، فبدت جامدة و باردة ، فعلي محمود طه ، و من خلال تأخيرها للمكان المعبر عنه ب " يا بحيرة " بعدما كان هذا المكان نفسه يحتل صدارة الخطاب في النص الأصلي ، أي قصيدة " البحيرة " للامارتين ، قد أحدث خللا دلاليا و أسلوبيا ، ذلك أن " الترجمة هي نقل تلفظ ما من لغة أولى [اللغة المصدر] إلى لغة ثانية [اللغة الهدف] شريطة تحقيق التكافؤات الدلالية و الأسلوبية.⁸ " ، و هنا يبدو الخلل الدلالي واضحا ، ذلك أن علي محمود طه عندما ترجم [ô lac] في قصيدة لامارتين بقوله [يا بحيرة] قد أسقط وحدة لغوية دالة و مكتنزة بدلالات الألم و الوجع و التحسر و المتجسدة في قول لامارتين [ô] و التي يمكن أن تقابل في اللغة العربية لفظة

⁷-علي محمود طه : الديوان ، ص : 125.

⁸ - Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Paris, p : 490.

[أه] ، و هي اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع .

إن إسقاط هذه الوحدة اللغوية المعبرة عن الألم و تعويضها بأداة النداء [يا] و التي تستعمل للقريب و تفيد التنبيه جعل من التركيب اللغوي الذي أورده علي محمود طه في المقطع الثاني من مترجمته لا يصور لنا الألم كما تحلى عند لامارتين في قوله: [ô lac!]

و أما الخلل الأسلوبي فيتجلى في تأخير ما قدم في النص الأصلي؛ فكلمة " البحيرة " عند لامارتين [ô lac!] جاءت متقدمة و شكلت افتتاحية المقطع الشعري الثاني ، و هذا التقديم له دلالاته ، ذلك أن " البحيرة " عند لامارتين تمارس فعل التبئير/الحفر في الخطاب الشعري، حتى لتغدو كل الدلالات السياقية تصب فيعا و تلتقي عندها ، فهذا المكان/البحيرة يمارس سلطة حضور دائمة في النص الشعري بداية من العنوان ، و انتهاء بالمتن الشعري ، لكن الشاعر علي محمود طه عندما أخرج كلمة " البحيرة " في قوله: حدثني القلب يا بحيرة مالي قد سلبها ريادتها و صدارتها ، و بالتالي سلب هذا المكان –البحيرة سلطتها ، و أنقص من حضورها في النص الشعري على المستوى الدلالي خاصة .

إضافة إلى ما تقدم ذكره ، فإن تغييب لامارتين لاسم حبيبته " أولفيرا " من النص الشعري جعل هذه الحبيبة ذاتها حاضرة في كل الموجودات ، و حالة في كل الأماكن ، لقد تحول ذلك الغياب إلى حضور أكثر صراحة ووضوحا ، و أصبح كل شيء في الطبيعة يحيل على هذه الحبيبة ، الصخرة و البحيرة على حد سواء، و هذا الغياب في حد ذاته صار حضورا في المكان ، و هذا ما أكسب الأمكنة في المقطع الشعري الثاني من قصيدة " البحيرة " للامارتين حيويتها و حرارتها ، و جعلها أمكنة نفسية ، شفافة ، ناطقة فيصمتها ، و حية في جمودها ، و متحركة في سكونها ، ذلك أن " ترك الذكر أفصح من الذكر ، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين."⁹

و أما الشاعر علي محمود طه ، و في مترجمته في مقطعها الثاني منها فذكره " لألفيرا " هو في حقيقته تغييب لها و سلب لوجودها ، و تقليص لحضورها ، ذلك أن الغموض و الإبهام هما جوهر الشعر و حقيقته ، و التصريح و الإيضاح آفته و عيبه ، فذكر " ألفير " في مترجمة علي محمود طه جعل النص الشعري مسطحا و مجدبا ، و وحيد القراءة، لا عمق فيه ، و هذا إقصاء لطاقتاه التأويلية ، و تسييح للدلالة ، و إلغاء للخاصية التوالدية للنص الشعري التي تمنح هذا الأخير استمراريته و بقاءه و ديمومته .

و أما المكان الثاني الذي يصادفنا في مترجمة علي محمود طه لقصيدة البحيرة ، فهو المكان المشار إليه بـ " صخرة العهد " و هو مكان ، كما يبدو، مكان يحيل على زمن انقضى و عهد تولى ، و يبدو هذا جليا من خلال

⁹-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981، ص: 112.

التركيب اللغوي نفسه " صخرة العهد" ، إذ نلاحظ أن كلمة " صخرة" جاءت نكرة عرفت بالإضافة ، إضافة لفظة العهد إليها ، ، و كأن هذه الصخرة في ارتباطها بماض زال و انقضى ، و زمن تولى و مضى خرجت عن نكرتها و تملصت من غيابها ، و أسست لحضورها الخاص ، و كأنها مدينة في وجودها لارتباطها بالذكريات ، التي لولاها لما كانت هذه الصخرة لتكون بكل هذا الحضور المكثف و الخاص، و لظلت حبيسة النسيان .

هذا الارتباط ذاته هو الذي حول الصخرة من مكان جغرافي بارد و جامد إلى مكان نفسي متحرك و دافئ ، يفيض ألما على زمن أدبر وولى .

هذه القدرة على الإبقاء على شعرية المكان [الصخرة] مثلما تبدت في النص الشعري اللامارتييني، و شحنه ، أي المكان ، بالذكريات و التدايعات النفسية جعل من تعامل الشاعر علي محمود طه مع المكان/الصخرة تعاملًا شعريًا يرقى إلى الشعرية المكانية المتجسدة في النص الشعري اللامارتييني .

هذا التفاعل و التداخل بين المكان المعبر عنه بلفظة نكرة تحيل على المجهول [الصخرة] ، و بين الزمان الذي تفرزه لفظة [العهد] و التي تحيل على الزمن الماضي ، و التي تحول هذه الصخرة المجهولة و النكرة [صخرة] بفعل الإضافة من صخرة واقعية محددة الأبعاد إلى مكان نفسي يسري فيه الزمن ، و تتلاشى فيه الملامح الواقعية ، فيتحول التركيز من المكان في حضوره الجغرافي إلى المكان في بعده النفسي :

الصخرة [مكان هندي] ← الصخرة [مكان نفسي]
بفعل ارتباطها بالزمن الماضي تحولت

المقطع الشعري الثالث من قصيدة " البحيرة " لألفونس دو لامارتين:

Tu mugissais ainsi sous ces rochés profondes

Ainsi tu te brisais sur leurs flancs déchirés

Ainsi le vent jetait l'écume de tes ondes

Sur ses pieds adorées¹⁰

تبدو الأمكنة في هذا المقطع الشعري معبأة بالألم ، مشحونة بالوجع و التمزق ، و نستشرف هذه الدلالات جميعها من خلال وقوفنا على المكانين المجسدين في هذا المقطع الشعري ، فالمكان الأول هو [**ces rochés profondes**] ، و هذا التركيب اللغوي المكثف دلاليًا يخيل على الغموض و الضبابية و المجهول ، إنه مكان مفتوح على مصير مجهول [**profondes**] ، و كأن لامارتين عبر هذا المقطع الشعري و من خلال توظيفه لهذا المكان [**ces rochés profondes**] يحيل على قلق وجودي و معاناة ميتافيزيقية و سؤال محير و موجه حول المصير ، لقد تردد صدى هذا السؤال اللغز في ذات لامارتين ، و تردد صداه كذلك في الموجودات جميعها ،

¹⁰ - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

كما أن النص المترجم حتى وإن سعى إلى تمثيل النص الأصلي و الاقتراب منه و ملاسته إلا أنه لا يستطيع أن يتملص من البصمات التي تحفظ للمترجم حضوره عبر النص المترجم، ذلك أن النص الشعري بخاصة لا يكتب إلا مرة واحدة. " وأكثر ما يتبدى هذا النوع من المصاعب في ترجمة الشعر، و خاصة في تلك القصائد التي تكمن قيمتها في أسلوبيتها، و بنائها أكثر مما في مضمونها الحرفي، لأن إنقاد ما يمكن إنقاذه في تلك القصيدة في الترجمة هو عمل إعجازي، و لكنه عمل إعجازي يتمكن المترجمون ليس دائما من تحقيقه بقدر من المجازفة، إذ يخضع المترجم عندئذ لضغط متواصل يفرضه عليه سعيه إلى التوصل إلى صيغة تجمع بين الشكل و المضمون، و يجد أنه كلما اقترب من خصائص أسلوب النص الأصلي و مزاياه يضحى بالكثير من المضمون و المعاني، بينما يؤدي به التصاقه الشديد بالمضمون إلى خسارة كبيرة في جماليات الأسلوب، و تصبح أمانة الترجمة في هذه الحالة معضلة شاقة تتمثل في الجمع بين الأمانة لمعاني النص و أسلوبه في لغة المصدر، و الحفاظ في الوقت نفسه على التقاليد الأسلوبية في اللغة التي ينقل إليها.¹²

المقطع الشعري الرابع من قصيدة " البحيرة " لألفونس دولامارتين:

Un soir t'en souvient-il ? Nous voguions en silence,

On entendait au loin, sur l'onde et sous les cieux ,

Que le bruit des rameurs

Tes flots harmonieux ¹³

يبدو المكان في هذا المقطع الشعري [les cieux] شاسعا و منفتحاً و رحبا و متساميا و متعاليا، ذلك أن هذا المقطع الشعري يجسد رحلة عبر الزمن الماضي لاسترجاع الذكريات السعيدة و استعادة لحظات النشوة و الحبور بجانب حبيبته، و كأن المكان تتحكم في أبعاده و تجلياته طبيعة اللحظة الزمنية التي تستبد بالشاعر، فإن كان حزينا و كئيبا ضاق المكان و غمض، و إن كان سعيدا و منشرحاً اتسع المكان و اتضح، فالزمن الماضي بكل ما يحيل عليه من دلالات الفرحة و الحبور استدعى مكانا اتسم بالانفتاح و الاتساع، و دل على الانشراح و السكينة، و الهدوء، و المكان هنا [les cieux] فضاء مفتوح تتلاشى فيه الأبعاد الجغرافية و تكسر فيه المحددات المكانية ليغدو مكانا متحررا من أسر التحديد و التقييد، مشحونا بدلالات الانطلاق و التحرر، و هو في ارتباطه بالزمن الماضي، لحظة استعادة الذكريات السعيدة يجسد ما كان يشعر لامارتين من انطلاق و تحرر و انفتاح و انشراح، و كأن المكان يحيل على الكائن، إذ أن هناك علاقة عضوية تربط ما بينهما، فقد ينوب المكان عن الكائن، مثلما نجده في النص الشعري اللامارتييني، و أما المكان الثاني فيتمثل في [flots]

¹² -مجاب الإمام، محمد عبد العزيز: الترجمة و إشكالات المناقفة، منتدى العلاقات العربية و الدولية، ط.01، 2014، ص: 104

¹³ - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

harmonieux] و هو مكان مائي متموج لكنه يتسم بالانسجام و التناسق ، و كأن استحضار الزمن الماضي بما يحمله من فرح و سعادة قد أعاد الانسجام و التناسق و الهدوء إلى مياه البحيرة ، بعدما كانت مضطربة ، تتداعى و تنكسر على الضفاف ، و تالك هي نفسية الشاعر في حاضرها ، تبدو مضطربة و متوترة ، لكنها تستعيد هدوءها و انسجامها لحظة ترتحل عبر الذاكرة إلى زمن ولى و انقضى ، زمن الذكريات السعيدة ، فينسى ألمه الحاضر ووجعه الآني لحظة استحضار فرحه الذي ولى ، و سعادته التي انقضت و أدبرت ، و كأن الشاعر ، من خلال المكان ، الهادئ و المطمئن ، يرفض حاضره المؤلم ، و يرتقي في أحضان ماضيه حيث دفء الذكريات ، و هنا نلاحظ بجلاء كيف أن المكان يتبدى و يظهر وفق طبيعة اللحظة التي يعيشها الشاعر ، فهو يكون مضطربا إن كان الشاعر مضطربا ، و يكون هادئا إن كان الشاعر هادئا ، فالمكان ، هنا، في ارتباطه بنفسية الشاعر و تقلباتها يغدو مكانا نفسيا متجددا و متغيرا.

المقطع الشعري الرابع من مترجمة علي محمود طه :

أتري تذكرين ليلة كنا *** منك فوق الموج بين الضفاف

وسرى زورق بنا يتهدى *** تحت جناح الدجى وستر العفاف

في سكون فليس نسمع فوق *** الموج إلا أغاني المجداف

تتلاقى على الربي و الحوافي *** بأناشيد موجك العزاف.¹⁴

نلاحظ و بجلاء في هذا المقطع الشعري تحولا على مستوى الدفقة الشعورية ، فمن صيحات الألم و آهات التمزق و ضجيج الانكسار كما تجسدت في المقطع الشعري الثالث إلى الإشراق و العزف و الأغاني و النشيد كما يتجلى ذلك في هذا المقطع الشعري ، و لعل السر وراء هذا التحول الشعوري هو الانتقال من الزمن الحاضر حيث شكوى فراق الحبيبة إلى الزمن الماضي حيث ذكريات الفرح و السعادة في حضرة الحبيبة ، هذه النشوة و ذلك الفرح نجده ينبعث من الأمكنة ذاتها ، كما تجسدت في هذا المقطع الشعري ، فالأمواج تعزف بعدما كانت من قبل تنكسر و تتمزق على الضفاف ، فحل السكون و سادت الطمأنينة و عمت الأغاني كل الموجودات ، كل الأشياء ترقص و تغني في هذا المقطع الشعري و كأن حضور الحبيبة حضور للسعادة و الفرح ، و كأنها تحولت بفعل الشعر إلى ملاك ينشر الفرح أينما حل و ارتحل .

هذه القدرة على شحن الأمكنة بالفرح و الحبور في هذا المقطع الشعري جعلت مترجمة علي محمود طه تحافظ على دلالات السعادة و النشوة ، كما تجلت في النص الشعري اللامارتييني . ، و هذا يدل على مقدرة الشاعر علي محمود طه في استحضار التجربة الشعورية التي صدر عنها لامارتين ، في نظمه قصيدة " البحيرة " ،

¹⁴ -علي محمود طه : الديوان ، ص :126

فعندما استرجع علي محمود طه الزمن الماضي شحن الأمكنة بالفرح لأنه يدرك أن هذا الزمن بالذات يجسد عند لامارتين بجانب حبيبته السعادة و الفرح ، و قد وفق الشاعر علي محمود طه في ذلك أيما توفيق.

المقطع الشعري الرابع من قصيدة " البحيرة " لألفونس دو لامارتين:

Tout à coup des accents inconnus à la terre,

Du rivage charmé frappèrent les échos :

Le flot fut attentif, et la voix qui m'est chère

Laissa tomber ces mots¹⁵

و لأن لامارتين لا زال يعيش أجواء ذكريات السعادة و النشوة بجانب حبيبته ، و لا زال يعيش ماضيه المفرح متملصا من حاضره الكئيب ، و رافضا واقعه المؤلم في غياب حبيبته ظلت الأمكنة في هذا المقطع الشعري تحتفظ بإشراقها و انفتاحها و فسحتها ، فالأرض كلها تصغي لتلك النداءات ، و قد وظف لامارتين في هذا المقطع الشعري مكانا بعينه هو قوله

[la terre] ، [الأرض] ، و هذا المكان و ما يحيل عليه من رحابة و اتساع و امتداد يبعث في النفس إحساسا عذبا بالانشرح ، و شعورا طيبا بالحرية و الانعتاق ، فالمكان ، هنا ، يحيل على اليابس [البر] ، [la terre] ، و يحمل في الوقت نفسه دلالات الاستقرار و الطمأنينة و السكينة ، و كأن حالات التمزق و الحيرة و الانكسار تتجلى من خلال الأمكنة المائية العائمة ، أو من خلال الأمكنة البرية الغامضة و الضبابية ، و حالات السكينة و الاستقرار تستدعي أمكنة برية مفتوحة ، متحررة من التأطير و التحديد ، و أما المكان الثاني الذي يحضر في هذا المقطع الشعري فيتمثل في قول لامارتين [rivage charmé] ، فعلى الرغم من كونه مكان مائي إلا أنه يحمل دلالات الطرب و النشوة ، و كأن المكان يحيا بحياة الكائن الموجود فيه ، و يموت بموت هذا الأخير ، ففي لحظات الألم حيث يتحسر لامارتين على ضياع حبه و انقضاء فرحه تبدو الأمكنة باكية و قاتمة و متمزقة ، و كأن مصابا جللا دهاها ، أو كأن المأساة حلت بها ، لكن سرعان ما يسترجع لامارتين لحظات السعادة عبر استحضار الزمن الماضي ، زمن الحبيبة ، فتظهر الأمكنة راقصة و مشرقة و هادئة ، و مفتوحة ، و كأنها ذاقت حلاوة الحب و انتشت برحيقه ، و سعدت هي الأخرى مثلها مثل لامارتين بصحبة تلك المرأة الملاك.

المقطع الشعري الخامس من مترجمة علي محمود طه :

وعلى حين غرة رن صوت *** لم يعود سماعه إنسي

هبط الشاطئ الطروب فما يسم *** ع فيها للهاتفات دوي

¹⁵ - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 65.

وإذا الليل ساهم سكن النو***ء إليه وأنصت للجي

يتلقى عن نبأ الصوت نجوى***كلمات ألقى بهن نجي."16

أول ما يثير القارئ في هذا المقطع الشعري هو تقليص حضور الأمكنة ، إذ أننا نسجل حضور مكان واحد تمثل في [الشاطئ] ، وهذا مقارنة بالنص الأصلي حيث نسجل حضور مكانين ، المكان الأول هو [la terre] و المكان الثاني هو [rivage charmé] ، و تغييب المكان في أي نص أدبي أو التقليل من حضوره يستتبع بالضرورة غياب بعض الدلالات ، ذلك أن المكان يحمل دوماً في طياته موقفاً وجودياً أو وجدانياً ، أو إحالات اجتماعية و ثقافية و اقتصادية ، فعلى الرغم من أن علي محمود طه عبر توظيفه لمكان معين هو [الشاطئ الطروب] قد استطاع إلى حد ما الإبقاء على بعض دلالات الفرح و النشوة ، و الحبور ، إلا أنه عبر تغييبه لمكان [la terre] كما ورد في النص الأصلي ، قد سلب المكان فرحه و نشوته ، و أنقص من ملامح الفرح و السعادة ، فظهر المقطع الشعري عند لامارتين أكثر إشراقاً و تألقاً لأنه وظف المكان توظيفاً شعرياً ، عندما حمله بدلالات النشوة و الحبور ، فعدم التكافؤ في الأمكنة أحدث خلافاً دلالياً تمثل في عدم التكافؤ في الإحساس بالنشوة و الفرح ، غير أننا لا يجب أن نتمادى في مؤاخذة علي محمود طه أو مطالبته بالوفاء المطلق للنص الأصلي ، ذلك أن زمن الإبداع لحظة لا نستعيدها فحتى لامارتين الذي عاش التجربة الانفعالية في واقعيتها لا يستطيع أن يستحضر تلك اللحظة الزمنية الخارقة ، لحظة ميلاد النص الشعري ، فكيف بعلي محمود طه الذي عانى و تألم عبر فعل القراءة ؟ ، و"كما أشار بوبوفيك ، للمترجم الحق بأن يكون مختلفاً بصورة طبيعية ، و أن يكون مستقلاً ، شريطة أن تكون الاستقلالية في مصلحة العمل الأصلي ليتم تقديمه من جديد ، وكأنه عمل جديد جي."17

لم يعان علي محمود طه المأساة كما عاناها لامارتين ، لكنه بحسه المرفه ، و روحه الشاعرة النافذة إلى ما وراء الأشياء استطاع أن يستعيد ألم لامارتين ، و يعاني معاناته ، حتى أصبحنا على حد تعبير طه حسين لا ندري " أهو روح الذي قرأ فتأثر ، أم هو روح الذي أحس فتألم."18

قائمة الهوامش:

1 -Dictionnaire de la littérature de langue française, J-P De Beaumarchais et autres, Paris, 1984, p : 230.

2-Maurice Delcroit et autres : Méthodes du texte, introduction aux études littéraires, Paris, 1987, P : 215.

¹⁶ -علي محمود طه : الديوان ، ص 126.

¹⁷ -سوزان باسنت : دراسات الترجمة ، ترجمه و قدم له فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2012، ص :117.

¹⁸ -طه حسين : المجموعة الكاملة ، حديث الأربعاء ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2، 1980 ، ص : 726،725.

3- Dictionnaire encyclopédique Quillait, 7 aimes parties

4-Les grands auteurs français du programme x1xE siècle p : 88.

5-Alphonse De Lamartine: Les méditations poétiques. Nouvelles Méditations poétiques, Editions Gallimard, 1981, Paris, p : 64.

6-علي محمود طه: الديوان ، مؤسسة هنداوي ، 2017 ، ص : 125.

7 - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

8-علي محمود طه : الديوان ، ص : 125.

9- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Paris, p : 490.

10-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص : 112.

11- Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

12-علي محمود طه: الديوان ، ص 123.

13-مجاب الإمام ، محمد عبد العزيز : الترجمة و إشكالات المثاقفة، منتدى العلاقات العربية و الدولية، ط01، 2014، ص :

104

14- Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 64.

15-علي محمود طه : الديوان ، ص : 126.

16 - Alphonse De Lamartine : Les méditations poétiques, p : 6.

17-علي محمود طه : الديوان ، ص 126.

18-سوزان باسنت : دراسات الترجمة ، ترجمه و قدم له فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،

سوريا ، 2012، ص : 117.

19-طه حسين : المجموعة الكاملة ، حديث الأربعاء ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط02، 1980، ص : 726، 725.

1-قائمة المصادر:

1- علي محمود طه: الديوان، مؤسسة هنداوي، 2017

2- Alphonse De Lamartine: Les méditations poétiques. Nouvelles Méditations poétiques, Editions Gallimard, 1981, Paris

2- قائمة المراجع:

1- Dictionnaire de la littérature de langue française, J-P De Beaumarchais et autres, Paris, 1984.

2-Maurice Delcroix et autres : Méthodes du texte, introduction aux études littéraires, Paris, 1987

3- Dictionnaire encyclopédique Quillait, 7^{aines} parties.

4- Les grands auteurs français du programme xix^e siècle

5- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Paris,

6- سوزان باسنت: دراسات الترجمة، ترجمه وقدم له فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012

7- طه حسين: المجموعة الكاملة، حديث الأربعاء، المجلد الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط02، 1980

8- مجاب الإمام، محمد عبد العزيز: الترجمة وإشكالات المثاقفة، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط01، 2014